الخيال العلمي .. أدب المستقبل

بثينة عبدالحي محمد أبو بكر
معيدة بكلية الألسن جامعة عين شمس
قسم اللغات السلافية -شعبة اللغة التشيكية

الخيال العلمي .. أدب المستقبل

في أعقاب الطفرة الصناعية في أواخر القرن الثامن عشر إلي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت تسمية عصر النهضة الصناعية، ثم سُمي النصف الأول من القرن العشرين بعصر الذرة والنصف الثاني من القرن ذاته بعصر المعلومات، أما القرن الحادي والعشرون فأصبح عصر الهندسة الوراثية والذكاء الصناعي. وكل ما أسهم في إطلاق هذه المسميات على تلك الفترات المتلاحقة من أسباب تم التنبؤ به في فرع من الأدب يُسمي بأدب الخيال العلمي، أو كما أطلق عليه البولندي ستانيسلاف ليم Stanislaw Lem اسم "الحكاية الخرافية في عصر الذرة".

تعريف أدب الخيال العلمي ونشأته

يحيط بهذا النوع من الأدب، الذي رافق ظهوره كثير من الإهمال والسخرية والتهميش في الأوساط الأدبية عدد كبير من التعريفات الثرية ولكثرة هذه التعريفات لا يمكن أن نقول إن هناك تعريفًا ثابتًا يتفق عليه المتخصصون. لهذا سنستعرض بعضًا من هذه التعريفات لتوضيح ماهية أدب النوع.

يُعرّف يوسف الشاروني أدب الخيال العلمي بأنه نوع من المصالحة بين الأدب والعلم؛ فأحدهما يقوم على الخيال والآخر على أساس التجربة واستقراء الواقع والانتهاء من ذلك كله إلى قوانين محددة (الشاروني ٢٠٠٢، صـــ٨٧). أما مجدي وهبة فيعرف هذا النوع من الأدب بقوله: "هو ذلك النوع من الأدب الروائي الذي يعالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكل تقدم في العلوم والتكنولوجيا سواء في المستقبل القريب أو البعيد، كما يجسد تأملات الإنسان في احتمالات وجود حياة في الأجرام السماوية" (وهبة ١٩٨٤، صـــ١٨٧). ويصف نهاد شريف الخيال العلمي بأنه تناول للتقدم العلمي ومنجزات التقنية وتطورها الصالح منها والضار، من خلال أحداث درامية.

لم يأتِ المتخصصون في الغرب بتعريفات تختلف كثيرًا عن تعريفات المتخصصين العرب. يقول الروائي الإنجليزي كينجسلي آميس Kingsley Amis في كتاب له

بعنوان خرائط جديدة للجحيم (١٩٦٠): "إن القصة العلمية هي ذلك النوع من القصة النثرية، التي لم تستطع الظهور في هذا العالم الذي نعرفه. وإنما هي تقوم على فرض أساسه ابتكارات العلم أو التقنية، أو ما يسمى بالعلم الكاذب أو التقنية الكاذبة. سواء كانت هذه الابتكارات من صنع البشر أو من صنع كائنات من خارج الأرض نفسها". ووضح الموسوعي التشيكي إيفان أداموفيتش Ivan Adamovič في مقدمة قاموسه لأدباء الفنتازيا والخيال العلمي أن أدب النوع هو أدب التغيير، تغيير المجتمع والواقع اليومي. هو ذلك النوع الأدبي الذي يهتم بنتائج ذلك التغيير، سواء كان التغيير عالميًا أو محليًا أو حتى فرديًا مع أخذ نتائج هذا التغيير في الاعتبار، مثل: الاختراعات والتجارب العلمية والقدرات الخارقة للإنسان (أداموفيتش ١٩٩٥، صـــ٦). أما أبو الخيال العلمي هوجو جرنسباك Hugo Gernsback فقد عرّف قصص النوع بأنها تلك القصص التي تكتب على غرار جول فيرن J. Verne وإدغار ألن بو E. A. Poe وهربرت جورج ويلز H. G. Wells.

واختلف المتخصصون حول بداية هذا النوع من الأدب؛ رغم ارتباط أدب الخيال العلمي بالثورة الصناعية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، يؤكد بعض المتخصصين أن أول عمل خيال علمي هو قصة مكتوبة باللاتينية تحمل اسم الحلم، كتبها عالم الرياضيات الألماني يوهانس كبلر Johanes Kepler عام ١٦٣٤، وكانت القصة تتناول خليطًا من الخيال والأدب والمعرفة العلمية عن الفضاء (هزاع ٢٠١٤، صـــ٥٦). ويرى محمود قاسم أن الكاتب الفرنسي فونتنل Fontenelle هو أول كاتب لأدب الخيال العلمي وذلك لنشره عام ١٦٨٦ رواية لقاءات في قمة العالم والتي يؤكد فيها وجود حياة علي سطح القمر والكواكب الأخرى (قاسم ١٩٩٣، صـــ١٣). وهناك متخصصون آخرون يربطون أدب النوع بظهور رواية الإنجليزية ماري شيلي Mary Shelley فرانكنشتاين (١٨١٨) التي تدور حول فكرة تجميع أعضاء بشرية وخلق إنسان منها أو بالأحري خلق مسخ بشري ذي مصير بائس يشبه مصير بروميثيوس المحكوم عليه بالعذاب الأبدي. بعض المتخصصين يَعُدُّون ماري شيلي مؤسسة لنوعين أدبيين: الرعب والخيال العلمي (نِف ١٩٩٥، صـــ٢٥). ولكني في حقيقة الأمرككثير من المتخصصين أفضل أن أرجع البداية الحقيقية لأدب الخيال العلمي بمفهومه المعاصر إلى القرن التاسع عشر حيث اشتهرت ثلاثة أسماء بكتاباتها

غير المألوفة، وبذلك أقصد إدغار ألن بو(١٨٠٩–١٨٤٩) وجول فيرن(١٨٢٨–١٩٠٥) وهربرت جورج ويلز(١٨٦٦–١٩٤٦). فهذه الأسماء التي تربعت على عرش الفنتازيا في فترة الريادة الكلاسيكية ظل تأثيرها قويا وحاضرًا حتى في القرن العشرين. كما اضطلع كل من فيرن وويلز بدور شديد الأهمية في عملية تطور أدب النوع، فخلال هذه العملية وفي إطار أدب الفنتازيا قاما ببلورة فرع أدبي جديد أُطلق عليه لاحقا الخيال العلمي.

ترجح غالبية الدراسات أن ميلاد مصطلح أدب الخيال العلمي Science fiction كان على يد هوجو جرنسباك الذي استخدم عام ١٩٢٢ مصطلح Scientific fiction، ثم غيره عام ١٩٢٤ إلى Scientifiction، وبعد عامين أسس أول مجلة لأدب الخيال العلمي وهي مجلة قصص مذهلة Amazing stories، ليستقر بعد ثلاثة أعوام، أي عام ١٩٢٩، على استخدام مصطلح Science fiction والذي يمكن اختصاره إلى Sci–fi أو S. F.[١] ويقابله في العربية خ. ع.

وقلة من الباحثين مثل براين ستيبلفورد Brian Stableford يرجعون أصل التسمية إلى كراسة علمية منسية نشرها ويليم ويسلن William Wilson عام ١٨٥١ (مصطفى ٢٠٠٧، صـــ٨٣). وتجدر هنا الإشارة إلى أن مصطلح الخيال العلمي لم يكن معروفًا خارج حدود الولايات المتحدة الأمريكية حتي خمسينيات القرن الماضي.

الفانتازيا والخيال العلمي واليوتوبيا

[١] توضح ليزا تونلي في كتابها *فن كتابة الفنتازيا والخيال العلمي* أن الكثير من الكتّاب والمهتمين بالخيال العلمي يفضلون الاختصار الكلاسيكي S.F. لأنه يتسع لعدد من التفسيرات مثل: قصص التوقعات speculative fiction، والفنتازيا العلمية science fantasy، وقصص الفضاء space fiction، وفنتازيا التوقعات speculative fantasy.

وقبل أن ننتقل إلى وظائف أدب الخيال العلمي وتصنيفاته ينبغي لنا أن نوضح الفرق بين مفهوم الفانتازيا والخيال العلمي واليوتوبيا؛ فالأنواع الثلاثة تلتقي في بعض النقاط وتفترق عند البعض الآخر. هناك ميل عام في سوق الكتب إلى الجمع بين الفنتازيا والخيال العلمي؛ وعادة ما يعرضان في قسم واحد في محلات بيع الكتب وفي المكتبات.

منذ القدم والإنسان في حاجة لتفسير ما يدور في حياته اليومية من ظواهر طبيعية وكونية غير مفهومة، لذا لجأ إلى مخيلته الخصبة في نسج الأساطير التي كونت إجابة عن تساؤلاته والتي عبرت عن رغباته السابقة لأوانها في تجاوز المكان والزمان. وشكلت هذه الأساطير البداية لأدب الفنتازيا الذي يعده البعض الخيال العلمي للإنسان البدائي وإنسان العصور الوسطي والبذرة التي نبتت منها القصة العلمية بمفهومها الحديث. والأساطير لم تكن حكرًا على شعب بعينه، فكل شعب له أساطيره الخاصة؛ فهناك الأسطورة المصرية القديمة، والأسطورة اليونانية، والأسطورة الآشورية، والأسطورة الصينية ... إلخ. ظهر أثر هذه الأساطير في بعض الأعمال مثل ملحمة جلجامش ومهابهاراتا وألف ليلة وليلة. في هذه الأعمال التي تعبر عن مجتمعات بدائية يعد السحر والتنجيم العلم البدائي الأول، ففي قصص ألف ليلة وليلة تظهر بعض الأشياء المسحورة المساعدة للبطل في تحقيق هدف الرحلة المنشودة أو المغامرة، مثل البساط السحري والسرير المسحور والفرس الأبنوسي، والإنسان النحاسي، والكرة البلورية، والعقاقير التي تغير الكائنات من هيئة إلى هيئة أو تلك التي تغير مشاعر شخص ما تجاه شخص آخر، واستبدل كاتب الخيال العلمي بكل هذه الأشياء مخترعات حديثة كالطائرة والصاروخ ومركبة الفضاء والإنسان الآلي والتلفزيون والتركيبات الكيميائية المختلفة.

الفنتازيا (مشتقة من الفعل اليوناني القديم Fantadzō والذي يعني حرفيًا أن يتخيل أو يتصور) هي ذلك الفرع الأدبي القائم على السحر والظواهر غير الطبيعية أو الخارقة، هي ذلك الأدب الذي يعبر عن رغبة الإنسان في تجاوز حدود الزمان والمكان دون الارتكاز على أية قوانين علمية، هي خيال مطلق، خيال جامح غير مبرر، وعلى القارئ أن يتقبل هذا الخيال بلا نقاش، أو بمعنى آخر الكاتب ليس مضطرًا للإجابة عن أية تساؤلات من نوعية: كيف يستطيع البساط السحري الطيران؟ كيف يمكن

لأحدهم حبس عفريت أو جني في قمقم؟ ما هي مكونات هذا الترياق الذي حول الأمير إلى ضفدع؟ لماذا تستخدم الساحرات مكنسة في الطيران؟ وهذه الفكرة يؤكدها راي رادبوري Ray Bradbury بقوله إن الفانتازيا عمل أدبي أقرب ما يكون إلى الجريمة الأدبية؛ فبإمكان الفانتازيا أن تهاجم القوانين الطبيعية الثابتة وتتخطاها.

والفنتازيا أو التخييل الموغل، كما وضحت لجنة الأدب بمجمع اللغة العربية في معجم مصطلحات الأدب، هي مصطلح عام يطلق على أي نوع أدبي مستغرق في التخييل ويسعى إلى تقديم عالم غير واقعي، وبذلك فهو يتضمن أشكالاً أدبية كثيرة كالأمثولة والحكايات الخرافية وغيرها مما يصف العوالم المتخيلة. وقد حاول منظرو النظرية الأدبية المعاصرون أن يميزوا داخل الفنتازيا بين العجيب والخارق والغريب، وهو ما تناوله بالتوضيح تودوروف Tzvetan Todorov (شوشة وآخرون ٢٠١٤، صـــ٤٦).

يُعرِّف يوزِف بيتركا Josef Peterka الفانتازيا بأنها "أدب غير واقعي قائم على التعارض التام مع العالم الحقيقي" (بيتركا ٢٠٠٧، صـــ٢٨٧). ويقول المتخصص التشيكي أوتاكار خالوبكا Otakar Chaloupka عن الفانتازيا أنها ذلك الأدب حيث كل شيء ممكن: حيث تكون أسلحة الليزر في مواجهة السيوف، والفرسان في مواجهة الدبابات الحديثة، حيث يواجه جنود الملك آرثر الفضائيين على الكواكب النائية، حيث يتحول العمالقة إلى أقزام، حيث الخواتم السحرية والمعاطف العجيبة، حيث يوجد السحر الأبيض والسحر الأسود، حيث يوجد معًا الأميرات وقادة الغواصات، والكائنات الخرافية إلى جانب منصات إطلاق الصواريخ (خالوبكا ٢٠٠٧، صـــ٢٠٣). ومن أشهر الأمثلة على الفانتازيا أعمال الإنجليزي ج. ر. ر. تولكين J. R. R. Tolkien (١٨٩٢-١٩٧٣): سيد الخواتم (١٩٣٧-١٩٤٩)، الهوبيت (١٩٣٧)، سيلماريليون (١٩٧٧)، وكذلك سباعية هاري بوتر للكاتبة الإنجليزية ج. ك. رولينغ J. K. Rowling. وكان بعض القراء إلى وقت قريب يدرجون هذه الأعمال ضمن أعمال أدب الخيال العلمي بسبب اللبس بين النوعين وعدم وضوح الحدود الفاصلة بينهما. وفي الأدب التشيكي ظهرت الفنتازيا في أعمال عديد من الكُتاب مثل ياروسلاف يران Jaroslav Jiran: ساحر تيسال (١٩٨٨)، وفيلما كادليتشكوفا ?Vilma Kadlečkov: يوما ما سيحل الظلام (١٩٩١) وروايتا سيوف

لورغان (١٩٩٣) وبناة الحصون (١٩٩٤)، ويرجي بروخازكا (W.) Jiř? Proch?zka: كين وود وسيف الملك دسالا (١٩٩١) وكين وود ولآلئ الملكة ماوب (١٩٩٢).

ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن الفانتازيا خيال قائم على السحر والخوارق، أما الخيال العلمي فهو خيال قائم على قوانين علمية حقيقية أو مزيفة. يقوم كل من الخيال العلمي والفنتازيا على الغرابة، ولكنهما يختلفان في إمكانية الفهم والتفسير؛ فالغرابة في الخيال العلمي غرابة منطقية وبها معقولية افتراضية، لكن الغرابة في الفنتازيا خارقة وغير منطقية. وتوضح هذا الفرق بين النوعين ليزا توتلي Lisa Tuttle في كتابها فن كتابة الفانتازيا والخيال العلمي بأن الفنتازيا لا يمكن أن تمتزج بالسعي نحو التنبؤ كما في الخيال العلمي، الفنتازيا تعمل على إعادة تخيل الماضي، أما الخيال العلمي فهو امتداد منطقي للحاضر وسعي نحو اكتشاف المستقبل (توتلي ٢٠٠٨، صـــ٥٣). وينبثق من الفنتازيا عدة أنواع: فنتازيا البطل (Heroic fantasy)، الملاحم أو الفنتازيا الراقية (Eric or high fantasy)، فنتازيا الحكام (Dynastic fantasies)، فنتازيا المرح (Humorous fantasy)، الفنتازيا القاتمة (Dark fantasy)، الفنتازيا الرومانسية (Romantic fantasy) وغيرها.

وفي هذا السياق ينبغي لنا الإشارة إلى نوع أدبي ثالث، وهو اليوتوبيا. وكلمة يوتوبيا Utopia في الأساس مشتقة من لفظتين يونانيتين Topus´ou، وتعني ما لا يوجد في أي مكان. اليوتوبيا أدب يتناول الحياة المثالية في الدولة المثالية، اليوتوبيا تعبر عن كل شيء رائع مثالي ولكن غير ممكن. ويُعرف نِف Neff اليوتوبيا في موسوعة أدب الخيال العلمي التشيكية بقوله: "حكاية تصف مجتمع مفترض (حضارة ما، مرحلة ما)، يعده الكاتب مثاليًا. وبوضع حدث اليوتوبيا في واقع غير حقيقي أو واقع مفترض تصبح في نطاق أدب الخيال العلمي" (نِف ١٩٩٥، صـــ٣٤). والأمثلة على اليوتوبيا كثيرة، منها: جمهورية أفلاطون (القرن الرابع ق. م.) وآراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي (في القرن ١١ م.) ويوتوبيا توماس مور Thomas More (١٥١٦) وأطلانتس الجديدة لفرانسيس بيكون Francis Bacon (١٦٢٦) ومتاهة العالم وجنة

القلب لـــيان أموس كومينسكي[١] Jan Amos Komensk? (١٦٣١) والكثير من الأعمال من مختلف الآداب. ويمكننا أن ندرج بعض اليوتوبيات مثل يوتوبيا مور (١٦٢٦) أو يوتوبيا كامبانيلا Tomasso Campanella مدينة الشمس (١٦٢٣) ضمن يوتوبيات الخيال العلمي؛ حيث إنها تقدم عالما مبهرًا من الناحية العلمية والتكنولوجية.

وتقسم الدكتورة عزة الغنام اليوتوبيا نوعين، النوع الأول يستفيد من التقدم العلمي بحيث يقدم عالمًا مبهرًا من الناحية التكنولوجية مثل يوتوبيات ويلز، والنوع الثاني يصور الإنسان في أحسن صورة ويعتمد المجتمع في هذا النوع على أن الإنسان بطبيعته خيّر وأنه إذا مارس إنكار الذات أصبح حرًا وكسر قيود المدنية ورجع إلى فطرته السليمة كما في جمهورية أفلاطون (الغنام ١٩٨٨، صـــ١٨).

والعمل الذي يقدم عالمًا كابوسيًا بما فيه من تكنولوجيا حيث أصبح التقدم العلمي مأساة تطيح بالقيم الأخلاقية والإنسانية، يمكننا أن نسميه المدينة الفاسدة أو دستوبيا Dystopia، عكس المدينة الفاضلة أو اللايوتوبيا، مثل: رواية نحن (١٩٢٠) للروسي زامياتين J. Zamjatin ورواية ألدوس هكسلي Aldous Huxley عالم جديد شجاع (١٩٣٢) ورواية جورج أورويل George Orwell العالم سنة ١٩٨٤ (١٩٤٩).

ففي دولة هكسلي في رواية عالم جديد شجاع يعلو شعار "الجماعة– التشابه– الاستقرار". تقع أحداث الرواية في المستقبل البعيد، في سنة ٦٣٢ بعد ميلاد فورد، وهو تقويم ابتدعه الكاتب. يتحكم في عالم الرواية عشرة أشخاص، ثم يليهم إداريو معامل التفريخ والتكييف المركزية. والشعب يُصنف إلى أربع طبقات: الألفا والبيتا والجاما والإبسيلون. في معامل التفريخ يتم تقسيم البويضات حسب احتياج الدولة: عمال وفلاحين وإداريين وهكذا. عالم هكسلي عالم لا تحكمه قيم أخلاقية؛ الدولة تشجع العلاقات الجنسية طالما أنها لا ترتبط بشخص محدد، فعندما تتمرد بطلة الرواية على

---

[١] يان أموس كومينسكي Jan Amos Komenský (١٥٩٢–١٦٧٠): عالم تربية وفيلسوف ومفكر ديني تشيكي، حازت أعماله وأفكاره على شهرة عالمية، وهو أول من نادى بضرورة تسلية الأطفال إلى جانب التعليم، ومن أشهر أعماله *الباب المفتوح للغات* (١٦٣١) و*العالم في صور* (١٦٥٨).

هذا العرف تتحدث معها زميلتها بأن في ما تفعله مخالفة لمبدأ: "الكل للواحد والواحد للكل".

أنواع الخيال العلمي ووظائفه

يقسم النقاد الخيال العلمي نوعين: الخيال العلمي الجاف أو الخشن أو المنضبط Hard، والخيال العلمي الناعم Soft. يتميز الخيال العلمي الجاف بالاهتمام بالتفاصيل العلمية، يهتم بالعلوم الطبيعية (الفلك، الفيزياء، علم الجينات، البيولوجيا ...)، الأساس في هذا النوع الناحية العلمية والتكنولوجية، مثال على هذا النوع عمل للكاتب الأمريكي هال كليمينت Hal Clement بعنوان Mission of gravity (١٩٥٣) وهناك أيضا رواية لخبير علوم الفضاء التشيكي كارِل باتسنِر Karel Pacner بعنوان رحلة إلى المريخ ١٩٩٨-١٩٩٩ (١٩٧٩) وفيها يصف أول رحلة استكشافية لكوكب المريخ، مع سرد الكثير من الحقائق العلمية المصحوبة بالصور والخرائط وحساب المخطط الزمني للرحلة المزمعة. واستُخدم مصلح الخيال العلمي الجاف للمرة الأولى عام ١٩٥٧ على يد P. Schuyler Miller وذلك لوصف بعض قصص النوع في العصر الذهبي للخيال العلمي (نِف ١٩٩٥، صـــ٢٩-٣٠). أما الخيال العلمي الناعم فيتميز بالعناية بالموضوعات الاجتماعية والنفسية والفلسفية والسياسية، مثل أعمال راي برادبوري.

يُقسم النقاد أدب الخيال العلمي أيضًا اتجاهين، الاتجاه الأول للقصص المكتوبة على غرار جول ڤيرن الذي كان شديد الحرص على تناول النواحي العلمية في قصصه، وبذلك يكون ڤيرن مؤسس الاتجاه التكنولوجي المعني بعالم الإنسان الخارجي. والاتجاه الثاني للقصص المكتوبة على غرار هربرت جورج ويلز الذي يعني بمشكلات المجتمع والأفكار الفلسفية، وبذلك يكون ويلز مؤسس الاتجاه الفلسفي المعني بعالم الإنسان الداخلي (الشاروني ٢٠٠٢، صـــ ٨٩-٩٠).

يُقسم النقاد أيضا كُتاب الخيال العلمي فريقين: كتّاب مجربين، وكتّاب متخصصين أو مخلصين. والكتّاب المجربون هم الذين يقومون بتقديم عمل أو اثنين أو ثلاثة أعمال على الأكثر إلى جانب أعمال أدبية أخرى، وغالبًا ما يكون العمل رواية أو مسرحية،

مثل توفيق الحكيم من مصر وكارِل تشابيك Karel Čapek من التشيك. أما المتخصصون فهم مخلصون لأدب النوع ولا يكتبون غيره، ويكتبون القصة القصيرة والرواية والمسرحية، مثل نهاد شريف من مصر وطالب عمران من سوريا ولودفيك سوتشيك Ludv?k Souček من التشيك. بعض هؤلاء المخلصين للنوع يتحول إلى النقد والدراسة المتخصصة، مثل الإنجليزي كينجسلي آميس[١] والتشيكي أوندرجي نِف Ondřej Neff.[٢]

وفيما يتعلق بالشكل الأدبي الذي يُقدم فيه الخيال العلمي، يمكننا القول إن أدب النوع يمكن تقديمه في شتى الأشكال: النثر والمسرح وحتى الشعر. تحتل القصة القصيرة المركز الأول، تليها الرواية، ثم المسرحية، وأخيرًا الشعر. والغالبية العظمي من أدباء النوع بدأوا بكتابة القصة القصيرة، بل اشتهروا من خلالها، ثم اتجهوا بعد ذلك للرواية، مثل إسحاق عظيموف وآرثر كلارك. أما مسرحية الخيال العلمي فقد برع فيها من الكتاب العالميين الأمريكي راي برادبوري والبولندي ستانيسلاف ليم، وفي الأدب العربي كتب توفيق الحكيم ثلاث مسرحيات ، بالإضافة إلى بعض المسرحيات المتفرقة لبعض الأدباء، مثل نهاد شريف وصلاح معاطي. وكثير من مسرحيات النوع مأخوذة في الواقع من أعمال روائية أو قصصية.

اقتحم الخيال العلمي عالم الشعر أيضًا؛ استشرف الشاعر الإنجليزي وليم وردزورث William Wordsworth (١٧٧٠–١٨٥٠) أدب الخيال العلمي في مقدمة كتابه المُسمى قصص شعرية شعبية غنائية Lyrical ballads (١٧٩٨)، وتضمنت الطبعة الثانية عام ١٨٠٠ قصائد جديدة ومقدمة إضافية. هناك أيضًا قصيدة خيال علمي

---

[١] كينجسلي آميس Kingsley Amis (١٩٢٢–١٩٩٦): سير كينجسلي ويليام آميس كاتب وناقد أدبي إنجليزي، حصل عام ١٩٨٦ على جائزة البوكر على روايته *الشياطين العجوزة*، وهو والد الروائي المعاصر مارتن آميس.

[٢] أوندرجي نِف Ondřej Neff (١٩٤٥–): أسسس نِف مجلة إيكاريا الشهرية لأدب الخيال العلمي وكان رئيس التحرير في السنوات ١٩٩٠–١٩٩٣، وهو أشهر شخصية تشيكية في مجال الخيال العلمي التشيكي، ومن أشهر دراساته المتخصصة كتابي *شيء مختلف* (١٩٨١) و*كل شيء مختلف* (١٩٨٧)، بالإضافة إلى أعماله الأدبية التي بدأها بأعمال موجهة للشباب.

للشاعر الفيتنامي ترانج خانه شانه بعنوان مناظر طبيعية مصغرة، نذكر منها الأبيات التالية:

مثل الجسيم بمجاله الكمي،
ومجاله المغناطيسي،
ومجال جاذبيته
تكون الصورة المصغرة للذرة،
ومثل الذرة تكون الصورة المصغرة للكون.
(سكولز ١٩٩٦، صـــ١٨-٢٠)

للخيال العلمي ثلاث وظائف جوهرية: وظيفة دعائية، ووظيفة تحذيرية نقدية، ووظيفة تنبؤية. دائمًا ما نجد الكثير من أعمال أدب النوع تروج لاختراعات العلم الحديثة، بل إن الكثير من المتخصصين يرون في أدب الخيال العلمي راعيًا رسميًا للعلم والتكنولوجيا والمواهب العلمية. وفي هذا الصدد نشر إسحاق عظيموف دراسة بعد الاحتفال بصدور كتابه المائتين، وكتب فيها: مائة من الشباب يقرأون الخيال العلمي، خمسون منهم سوف يتجهون إلى دراسة العلوم بشغف، وخمسة وعشرون سوف يعملون في مجال العلوم، واثنا عشر سوف يتخصصون في مجال العلوم بقية حياتهم، وفرد واحد من المائة الذين واظبوا على قراءة الخيال العلمي سوف يصبح مخترعًا وأن في ذلك مكسب عظيم للولايات المتحدة الأمريكية (شريف ١٩٩٧، صـــ٤٥).

وهناك أعمال أخرى في أدب النوع تقوم بوظيفة نقدية تحذيرية؛ تنقد عيوب المجتمع وتحذر من التأثيرات المحتملة للتقدم التكنولوجي على الجنس البشري. وفي مثل هذه الأعمال عادة ما يطرح الكاتب سؤال: ماذا يحدث لو ...؟ (ماذا يحدث لو اندلعت الحرب العالمية الثالثة؟ ماذا يحدث لو أن حربًا نووية أطاحت بالبشرية؟). ويعد راي برادبوري الممثل الأبرز لهذا التيار التحذيري (وراي برادبوري هو أول كاتب خيال علمي يُعترف به خارج نطاق الحلقات النقدية لأدب النوع) وخير مثال على الوظيفة التحذيرية للخيال العلمي روايته الشهيرة ٤٥١ فهرنهايت (١٩٥٣)، حيث يحذر من خطر التكنولوجيا المتشعبة في كل جوانب الحياة ومن أسلوب الحياة الأمريكي. وروايته هذه تعكس مأساة المثقفين الأمريكيين في الخمسينيات والمعاناة من الإرهاب المكارثي (غينتشيوفا ١٩٨٠، صـــ٤٢).

ومجموعة أخرى من قصص الخيال العلمي تقوم بالتنبؤ بالمستقبل واستشرافه. مثل هذه الأعمال تتنبأ بمخترعات علمية لم تخطر على بال البسطاء قط، بل إن الناس العاديين قد يعتبرونها محض شطحات خيال. تنبأ ويلز في أعماله من قبل بأسلحة خطيرة مثل الطائرة والدبابة والغازات السامة، فظهرت هذه المخترعات لاحقًا في الحرب العالمية الأولى. وتنبأ ڤيرن في روايته ٢٠ ألف فرسخ تحت سطح البحر بالسفينة الغائصة مما جعل البحرية الأمريكية تطلق اسم غواصة ڤيرن، أي نيوتلس، على أول غواصة نووية أمريكية. تنبأ أيضًا الكاتب التشيكي كارِل تشابيك عام ١٩٢٣ في روايته كراكاتيت بخطر القنبلة النووية والذي تحقق بعد واحد وعشرين عامًا، أي في الحرب العالمية الثانية. وتعقيبًا على الانفجار النووي في هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين قال جون كامبل: "من الآن فصاعدًا سوف يأخذون أدب الخيال العلمي على محمل الجد". ولا يمكننا هنا أن نغفل عما ردده البعض في شأن تمويل وكالة الفضاء الأمريكية ناسا سرًا فيلم أوديسة الفضاء للمخرج ستانلي كوبريك Stanley Kubrick من أجل إثارة الرأي العام لرحلات القمر أبوللو.

وجدير بالذكر أنه في عام ١٩٦٢ قامت مجموعة تلاميذ في أحد قصور الثقافة بموسكو ببحث ممتع؛ حيث قام الأطفال بتسجيل كل المخترعات والأفكار التكنولوجية التي وردت في قصص جول ڤيرن وبمساعدة أحد المتخصصين تم التأكد من عدد الأفكار التي صارت حقيقة على أرض الواقع، وكانت النتيجة إيجابية: تم تحقيق أربع وستين فكرة من أصل مائة وثمانين! (كاغارليتسكي ١٩٨٢، صـــ٢٧٦). ولو أعدنا هذه التجربة في الوقت الراهن لأصبح عدد الاختراعات أكبر من أربعة وستين. إذًا ليس غريبًا أن يُسمَي هذا الفرع من الأدب بأدب المستقبل وليس غريبًا أيضًا أن يربط بعض النقاد جودة بعض الأعمال بمدى صدق تنبؤ الكاتب بالمستقبل.

وعلى قدر تنوع تعريفات الخيال العلمي ووظائفه تتنوع أيضًا موضوعاته. وفيما يلي نذكرباختصار الموضوعات التي يتطرق لها أدب النوع: العوالم الموازية، الإنسان الآلي (الروبوت)، الأندرويد[١]، الأنثروبوجيا، أطلانتس، الفضاء ورحلاته، استعمار الفضاء، الفضائيون (الغرباء)، البيولوجيا، السفر عبر الزمن، الجاذبية، الذكاء

[١] الأندرويد: إنسان آلي يغطيه جلد وملابس بشرية.

الاصطناعي، الوعي الجمعي، المتحولون (المتطورون جينيًا)، الجنس، الخلود، الحرب، الخيال العلمي العسكري، اليوفو[٢]، السيبربنك[٣]، ستيم بنك[٤] ... .

العصر الذهبي للخيال العلمي

عندما نقول العصر الذهبي للخيال العلمي، فنحن نعني هنا الخيال العلمي الأمريكي. في الواقع هناك أكثر من عصر ذهبي ولكننا سنتحدث عن أول تلك العصور، ذلك الذي بدأ في أحلك فترة يمر بها العالم، أي الحرب العالمية الثانية، بدأ هذا العصر في الليلة السابقة لبداية الحرب، بدأ حسب منظور إسحاق عظيموف في عام ١٩٣٧ وانتهي عام ١٩٥٠، ذلك لأن هذه الفترة ارتبطت بارتفاع مكانة المحررين وظهور عدد لا بأس به من مجلات متخصصة في أدب النوع مثل مجلة The Magazine of Fantasy and S.F.

يرتبط هذا العصر باسم واحد دون غيره وإن كثرت الأسماء حينها، يرتبط باسم شخص ربما لا يعرفه بعض محبي أدب النوع، يرتبط بـــجون وود كامبل John Wood Campbell، ذلك الكاتب والمحرر الذي قال عنه الناقد الأدبي الإنجليزي م. ج. إدواردز M. J. Edwards إنه أسهم أكثر من أي شخص آخر في تشكيل أدب الخيال العلمي الأمريكي.

درس جون كامبل في معهد ماساشوسيتس التكنولوجي MIT، وفي عام ١٩٣٢ تخرج في جامعة دوك Duke University وأصبح فيزيائيًا، لكنه لم يتفرغ للفيزياء مدة

---

[٢] اليوفو: أجسام طائرة واليوفو UFO اختصار لـــUnidentified flying objects.

[٣] السيبربنك: ظهر هذا المصطلح عام ١٩٨٠ ليصف نوع من روايات الخيال العلمي يعتمد على الواقع الافتراضي والمعلومات التكنولوجية الحديثة والعلاقة بين الماكينة والإنسان وتطور الذكاء الاصطناعي، وهناك الكثير من الأفلام السينمائية التي اعتمدت على عالم المتسللين إلى الأنظمة الحاسوبية مثل فيلم *ماتريكس* The matrix.

[٤] ستيم بنك: مصطلح مشتق من المصطلح السابق، أي سيبربنك، وهو يصف الخيال العلمي الذي يقع في إطار الماضي، ومثال على ذلك رواية *الآلة المختلفة* The different engine للكاتبين بروس ستيرلنغ ووليم غيبسون Bruce Sterling, William Gibson والتي تفترض اختراع الحاسب الآلي قبل العصر الفيكتوري.

طويلة؛ فقد كان منذ الصغر مولعًا بقصص فيرن المنشورة في المجلات التي يحررها جرنسباك. بدأ الكتابة في مطلع الثلاثينيات وفي عام ١٩٣٤ رُفضت أعماله المقدمة لمجلة Astounding Science Fiction. وبعد عام استطاع أن يقدم عملاً يرقى لمعايير رئيس تحرير المجلة الصارم وأصبح كاتبًا أساسيًا بالمجلة، ثم أصبح بعد عامين محررًا في المجلة ذاتها وبدأ في إرساء معايير جديدة لرفع مستوى قصص النوع.

كان كامبل يؤكد على ضرورة أن تكون الأفكار المقدمة في القصص مثيرة ومنطقية، ومن هنا يأتي دوره العظيم حيث دأب على إيجاد كتّاب مميزين، كان لهم الفضل لاحقًا في تغيير نظرة البعض إلى هذا اللون من الأدب. نجح كامبل عام ١٩٣٩ في تقديم أربعة كتّاب جدد، أصبحوا في فترة قصيرة من ألمع الشخصيات: إسحاق عظيموف Issac Asimov(١٩٢٠–١٩٩٢)، روبرت أنسون هينلين Robert Anson Heinlein (١٩٠٧–١٩٨٨)، ثيودور ستيورغيون Theodore Sturgeon (١٩١٨–١٩٨٥)، ألفريد ڤان ڤوغت Alfred Van Vogt (١٩١٢–٢٠٠١).

كان ذا رؤية بصيرة لما يجب أن يكون عليه هذا الأدب؛ لذا كان دائمًا ما يسدي النصح لكتّاب المجلة وكان يناقشهم في كل التفاصيل المهمة وكان يصر على أن يتوفر في كل قصة عنصران أساسيان، وهما الفكرة المنطقية القائمة على أساس علمي والحبكة الجيدة: "عمل مع الكتّاب، وشجعهم، قدم لهم أفكارًا مثيرة، ساعدهم في إعادة صياغة الحبكات في قصصهم، وطالبهم بمراجعة أعمالهم أكثر من مرة، وأوجد من خلال المحادثات الشخصية والرسائل المطولة، والافتتاحيات المنبهة، مناخًا للإثارة الفكرية. واستطاع كامبل أن يحول صورة أدب الخيال العلمي إلى الصورة الذاتية التي ارتآها هو لنفسه" (سكولز ١٩٩٦، صـــ٦٨).

حتى إن عظيموف المشهور برقي أعماله أكد أن كامبل كان معلمًا وأبًا روحيًا له، كما أكد أكثر من مرة أنه شاركه اكتشافه القوانين الثلاثة المنظمة لعالم الروبوت، تلك القوانين التي تتم برمجة الإنسان الآلي عليها. كان الظهور الأول لكلمة روبوت عام ١٩٢٠ في مسرحية روبوتات روسوم العالمية R.U.R. للكاتب كارِل تشابيك، وعند كتابة تشابيك للمسرحية كان في حاجة لكلمة تصف آلة تشبه الإنسان وتقوم بأعماله، في بادئ الأمر قرر استخدام كلمة Labor ولكن بعد مشاورة أخيه يوزِف استقر على

استخدام ما اقترحه أخيه، أي كلمة Robot، وهي في الأصل مشتقة من الفعل التشيكي القديم Robotovat والذي يعني العمل دون مقابل أو العمل بالسخرة، أو من كلمة Robota أي السُخْرة. وتنص قوانين عظيموف الثلاثة التي ظهرت لأول مرة في القصة القصيرة الكاذب (١٩٤١)على الآتي:

على الروبوت ألا يؤذي الإنسان أو حتى أن يتسبب بتكاسله في أي أذى له.

على الروبوت أن يطيع أوامر الإنسان بما لا يتعارض مع القانون الأول.

على الروبوت أن يحمي وجوده طالما أن ذلك لا يتعارض مع القانون الأول والثاني.

كان كامبل واحدًا من القلائل الذين آمنوا باستقلالية الخيال العلمي، وكان هو وجرنسباك من المتفائلين والمولعين بالتقدم التكنولوجي. يجب ألا ننسى أيضًا أن الخيال العلمي في بداية العصر الذهبي لم يكن يصدر في شكل كتب، بل كان ينشر على صفحات ما كان يسمى بـــ Pulp magazines وهي مجلات ذات أوراق صفراء رديئة يخجل حاملها من ظهور غلافها الفج أمام الآخرين، وقد يقوم بإدخالها في غلاف آخر غير مثير للشبهات. حتى إن مجلة مميزة مثل ASF لم يكن مسموحًا ببيعها في محلات بيع الكتب أو وضعها في المكتبات العامة، كان شراؤها متاحًا في أماكن بيع الصحف اليومية. ولاحظ كامبل أثناء فترة الحرب حاجة الجنود إلى بعض التسلية في مواقع التدريب والقتال، فعمد إلى استغلال كتيبات الجيب paperbackالتي كان الجنود يتهافتون على شرائها، فكلف عددًا من أفضل كتابه بإبداع القصص العلمية ونشرها على صفحات هذه الكتيبات، فأنشأ له قاعدة قراء جديدة (نِف ١٩٨٦، صـــ١٢٧).

التكنولوجيا ومصير البشرية

من أهم أهداف الخيال العلمي الارتقاء بالحضارة البشرية والوصول إلى درجة أعلى من الرفاهية لبني الإنسان. فاختراعات مثل المنطاد والآلات البخارية والراديو والتليفون كان لها أثر بالغ في الحد من صعوبة حياة الإنسان، وعندما جاء القرن العشرين زاد تطور هذه الآلات وظهرت الطائرة والتلفزيون، ثم الصاروخ والكمبيوتر والطاقة النووية. ولكن تبقى بعض الأسئلة مطروحة وبحاجة إلى التأمل:

هل زادت هذه الأجهزة من سعادة الإنسان وراحته ورفاهيته؟ هل كل شيء يصنعه الإنسان من أجل خدمته ينقلب ويصير قيدًا عليه؟ هذه التيمة تناولها كثير من أدباء الخيال العلمي، الكثير منهم يحذر من إساءة استخدام التكنولوجيا المتطورة، بل أصبحت هذه التيمة شائعة في قصص النوع بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية.

في إطار هذا الموضوع يمكننا تقسيم أدب الخيال العلمي فرعين: أدب الخيال العلمي المتفائل وأدب الخيال العلمي المتشائم. الفرع الأول يحتفي بالتقدم التكنولوجي ويبحث عن حلول تكنولوجية لمشاكل الغد ومن أشهر ممثلي هذا اللون من أدب النوع هوغو جرنسباك وجون كامبل وآرثر كلارك وإسحاق عظيموف. أما الفرع الثاني فدائمًا ما يشير إلى الآثار السلبية الناجمة عن التطور التكنولوجي المتصاعد بشدة. ويحذر ممثلو الخيال العلمي المتشائم، مثل ألدوس هكسلي وجورج أورويل وستانيسلاف ليم، من المستقبل البائس الذي قد يكون نتيجة حتمية لتخلي العلماء عن أخلاقيات البحث العلمي.

وكتّاب الخيال العلمي المتشائم يتناولون في قصصهم المشكلات المستقبلية المحتملة، يضعون في المقام الأول الخطر الناجم عن أسلحة الدمار الشامل. وتطور أدب الخيال العلمي الأمريكي والسوفيتي مرتبط بالحرب العالمية الثانية حيث تمت إساءة استخدام الطاقة النووية: "الولايات المتحدة قد هاجمت مدينتين يابانيتين بالقنابل الذرية، المدينة الأولى هيروشيما التي ضربت يوم ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ بـــالولد الصغير- الاسم الكودي للقنبلة، والمدينة الثانية ناجازاكي التي ضربت بـــالرجل السمين- الاسم الكودي للقنبلة الثانية- بعد ثلاثة أيام من ضرب هيروشيما. قتلت قنبلة هيروشيما ١٤٠٠٠٠ شخص لحظيًا بينما قضى ٧٤٠٠٠ نحبهم في ناجازاكي" (الشيخ ٢٠١٢، صـــ١٥). وفي المقام الثاني نجد التهديد الذي يشكله التغيير المناخي ونتائجه. هذا الموتيف مصدر إلهام لكثير من الأدباء. ومن الكوارث التي قد يسببها التغيير المناخي أو كما يسميه البعض الاحتباس الحراري: ارتفاع مستوى مياه البحار، والتصحر، وذوبان ثلوج القطب الشمالي، وانتشار أمراض جديدة، واندلاع الحروب على الأراضي الصالحة للزراعة. وفي عام ١٩٩٩ تناول الكاتبان الأمريكيان آرت بيل Art Bell ووايتلي سترايبر Whitley Strieber فكرة عودة العصر الجليدي الناجم عن التغيرات المناخية في رواية بعنوان اقتراب العاصفة الكبرى (The coming

global superstorm)، تحذر الرواية من النتائج المحتلمة للاحتباس الحراري، فعدم إتمام دورة المياه والحرارة في المحيطات كما ينبغي قد يؤدي إلى دخول الكرة الأرضية في فترة جديدة من الفترات الجليدية.

ولما أصبحت السينما جزءًا لا يتجزأ من حياة الإنسان اليومية، لم يعد التلفزيون الوسيلة الوحيدة لمتابعة الأفلام، هناك مئات الأفلام متاحة في أي وقت من خلال الإنترنت، في اليوتيوب. كما أن السينما لم تعد مقصورة على الدراما والكوميديا، اخترقت السينما ألوانا أخرى مثل الفنتازيا والخيال العلمي. ومنذ البداية سينما الخيال العلمي تعتمد على النص الأدبي المكتوب؛ ففي عام ١٩١٦ تمت صناعة فيلم مقتبس عن قصة لـــجول فيرن ويحمل الاسم ذاته للقصة ٢٠ ألف فرسخ تحت سطح البحر، وعام ١٩١٣ فيلم مستر جيكل ومستر هايد، وعام ١٩١٠ فيلم فرانكنشتاين عن قصة ماري شيلي.

يمكننا القول إن السينما لها فضل كبير في أن يتعرف عامة الناس ولو من بعيد على عالم العلماء والبحث العلمي، بل إن لها إسهامًا خاصًا في ارتفاع شعبية أدب الخيال العلمي، وهذه الشعبية ازدادت منذ التسعينيات وحتى الآن بفضل تطور التكنولوجيا التي وفرت مؤثرات صوتية وبصرية أكثر فعالية، لذا لم يغب عن صناع السينما أن يقدموا أحداث رواية اقتراب العاصفة الكبرى المشار إليها سابقًا للجمهور، عام ٢٠٠٤ عرضت دور السينما الأمريكية فيلم The day after tomorrow وكان من إخراج رونالد إيمريش Roland Emmerich (قاسم ٢٠١٣، صـــ٢٤٧).

ويحل في المرتبة الثالثة للموضوعات المفضلة عند كتّاب الخيال العلمي المتشائم الذكاء الصناعي وإمكانية سيطرة الآلة المفكرة على الإنسان. ففي مسرحية روبوتات روسوم العالمية (١٩٢٠) يتمكن العالِم روسوم من صناعة إنسان آلي متطور، يكاد يشبه البشر إلى حد كبير، فيحل هذا الإنسان الآلي محل العمالة البشرية، ويتم استخدامه في الحروب، إلى أن يأتي يوم تثور فيه الروبوتات وتقتل كل البشر عدا ألكويست، رئيس البنائين بمصنع "روبوتات روسوم العالمية" كي يطلعهم على سر صناعتهم. وخوف تشابيك من سيطرة الذكاء الاصطناعي يؤكده الفيزيائي البريطاني الشهير ستيفن هاوكينغ Stephen Hawking: "يمكن للذكاء الاصطناعي أن يشكل

عالمًا مستقلاً بذاته، ويمكنه أن يطور نفسه بسرعة باستمرار. والإنسان بطبيعة تطوره البيولوجية البطيئة لا يمكنه المنافسة" (هاوكينغ ٢٠١٤).

وفي المرتبة الرابعة للموضوعات المفضلة لدى الخيال العلمي المتشائم تتربع الهندسة الوراثية التي لا يخفى أثرها في مجالات الزراعة والصناعة والطب. كثيرون لا يعرفون أن مصطلح الهندسة الوراثية ظهر عام ١٩٥١ في رواية الخيال العلمي جزيرة التنين (Dragon's Island) للأمريكي جاك ويليمسون[١] Jack Williamson. ومن أوائل كتّاب الخيال العلمي العربي الذين تناولوا الهندسة الوراثية في أعمالهم الدكتورة أميمة خفاجي في روايتها جريمة عالم المطبوعة في موسكو عام ١٩٩٠: يقنع الدكتور أدهم زوجته أشجان بأن يخصبها بالحيوانات المنوية للشامبانزي سنوسي، فتكون نتيجة هذا التخصيب طفلة شاذة ذات وجه جميل يشبه وجه أشجان وجسد كثيف الشعر كجسد أبيها سنوسي، وفي نهاية الرواية يتم وضع هذا الكائن المهجن في حديقة الحيوان للعرض بأعلى سعر (الشاروني ٢٠٠٢، صـــ ٧٥–٨١).

أدب الخيال العلمي العربي

سُجلت الريادة في الخيال العلمي لإنجلترا وفرنسا على يد مبدعيها ماري شيلي وجول فيرن وهربرت جورج ويلز منذ ما يزيد على ١٦٠ عامًا، ثم جاءت البداية الأمريكية منذ ١٣٠ أو أكثر، أما دول الاتحاد السوفيتي فجاءت انطلاقتها في أواخر القرن التاسع عشر، وأخير البداية العربية منذ ما يزيد على الستين عامًا.

يؤكد معظم المتخصصين أن البداية الحقيقية لأدب الخيال العلمي العربي كانت على يد توفيق الحكيم في قصته القصيرة في سنة مليون (١٩٥٣)، ولكن يغفل الكثيرون عن يوتوبيا الخيال العلمي في القصة القصيرة خيمي التي نشرها سلامة موسى في مؤلفه أحلام الفلاسفة (١٩٢٦): "فهو ينتقل من مدينة أفلاطون الفاضلة، إلى أحلام مور وأندريا وكامبانيلا، ثم يدرس ما طرأ على تلك الأحلام بدخول الثورة الصناعية

[١] جاك ويليمسون Jack Williamson (١٩٠٨–٢٠٠٦): كاتب خيال علمي أمريكي، لُقب بعميد أدب الخيال العلمي. كتب أكثر من خمسين رواية والكثير من القصص القصيرة.

وظهور المذهب الاشتراكي، ويختم هذا كله بحلمه الخاص (خيمي) أو مصر سنة ٣١٠٥م" (هزاع ٢٠١٤، صـــ٨١).

ومن عناصر الخيال العلمي في يوتوبيا سلامة موسى الإنسان في مصر عام ٣١٠٥ التغيرات التي طرأت على ملامح الإنسان الجسدية والروحية؛ صار نحيفًا طويل الوجه وضخم الرأس وطال عمره حتى المائة وخمسين عامًا، والفرق بين الرجل والمرأة يتمثل في شارب دقيق جدًا، ومن الناحية الروحية أصبح الإنسان يصلي في معبد ضخم وهو عبارة عن صالة تؤرخ لمراحل تطور الإنسان تبعًا لنظرية التطور. وانتشرت في مصر وقتها وسائل الراحة المختلفة مثل التليفون الأثيري، حتى الاتصال أصبح صوتًا وصورة. وفي عام ٣١٠٥ صار عدد السكان في مصر عشرة ملايين فقط؛ فحكومة خيمي كانت تهتم بتحديد النسل وفقًا لقانون الانتخاب، فإذا وجدت اللجنة المنتخبة أن طفلاً ما لن يفيد المجتمع قتلوه فورًا. إذا سمحت اللجنة ببقاء الطفل يظل مع والديه حتى سن ست سنوات وبعدها ترسله الحكومة إلى المدرسة ولا يترك المدرسة حتى سن الأربعين. ويبدو أن سلامة موسى تأثر بآلة الزمن الخاصة بويلز.

وظهرت بعض سمات الخيال العلمي بمفهومه الحديث في محاولات الدكتور يوسف عز الدين عيسى والذي شق طريقه عبر البث الإذاعي، وكانت أعماله أقرب إلى الفنتازيا منها إلى الخيال العلمي حيث أعطى الأولوية للفكرة الفلسفية على حساب الفكرة العلمية. وقد بدأ يوسف عز الدين عيسى مسيرته عام ١٩٤٠، ومن أشهر أعماله الإذاعية: عجلة الأيام (١٩٤٠)، بنورة الأميرة المسحورة (١٩٤٢)، رجل من الماضي (١٩٥٠)، لا نريد الحياة (١٩٥٥). حاول عز الدين عيسى لاحقًا نشر إنتاجه الغزير في الصحف والمجلات في السبيعنيات التي من الصعب العثور عليها (مصطفى ٢٠٠٧، صـــ٨٦).

والبداية الحقيقية للخيال العلمي العربي الحديث يؤرخها الناقد السوري محمد عزام مع بداية ظهور أعمال شيخ الأدباء توفيق الحكيم في أدب النوع. الحكيم أول من نشر أعمال خيال علمي حقيقية، عام ١٩٥٣ نشر مجموعته القصصية أرني الله والتي

تتضمن قصتين قصيرتين تنتميان لأدب النوع: في سنة مليون والاختراع العجيب[١]، ثم نشر بعد ذلك مسرحيته رحلة إلى الغد (١٩٥٧). ونشر مسرحية تقرير قمري ذات الفصل الواحد عام ١٩٧٠ في جريدة الأهرام في أعقاب وصول سفينة الفضاء الأمريكية أبوللو١١ إلى القمر، وفي عام ١٩٧١ نشر في جريدة الأهرام أيضًا مسرحية أخرى ذات فصل واحد بعنوان شاعر على القمر، وفي عام ١٩٧٢ ضم المسرحيتين في كتاب واحد مجلس العدل.

وفي الستينيات أخذت تتوالى كتابات الخيال العلمي على نحو أفضل، فظهرت مثلاً أعمال الدكتور مصطفى محمود ذات الطابع العلمي المنضبط: رواية العنكبوت (١٩٦٤) ورواية رجل تحت الصفر (١٩٦٧). وفي السبعينيات بزغ نجم كاتب الخيال العلمي المخلص نهاد شريف؛ فأصدر أول رواية له قاهر الزمن (١٩٧٣) وتدفقت لاحقًا أعماله من مجموعات قصصية مثل رقم أربعة يأمركم (١٩٧٤) والماسات الزيتونية (١٩٧٩)، وأثرى المسرح العربي بمسرحية أحزان السيد مكرر(١٩٩٠). وكلما أتي عقد جديد زاد عدد كتاب الخيال العلمي في الأدب العربي؛ ففي سوريا تألق كاتب آخر مخلص لأدب النوع وهو طالب عمران ومن أشهر أعماله رواية كوكب الأحلام (١٩٧٨)، كما نشر دراسات متخصصة، مثل: في الخيال العلمي (١٩٨٠)، و في العلم والخيال العلمي (١٩٨٩). وفي موريتانيا اشتهر اسم موسى ولد ابنو صاحب مدينة الرياح (١٩٩٦)، وفي المغرب العربي أحمد عبدالسلام البقالي مبدع الطوفان الأزرق (١٩٧٦)، وفي السودان جمال عبدالملك بن خلدون بروايته العصر الأيوني (١٩٨١)، ومن الكويت طيبة أحمد الإبراهيم وثلاثيتها الروائية التي نشرت عام ١٩٨٠: الإنسان الباهت، الإنسان المتعدد، انقراض الرجل. ومنذ بداية التسعينيات يشهد الخيال العلمي العربي نوعا من الانتعاش والحيوية؛ فقد تفرغ بعض الكتاب لإبداع قصص خيال علمي ذات طابع بوليسي تغلفه المغامرة موجهة للشباب والأطفال، وأشهر من برع في هذا اللون الدكتور نبيل فاروق (الذي ترك الطب ليتفرغ لهذا اللون من الأدب) والدكتور أحمد خالد توفيق من خلال ما ينشرانه في

---

[١] تم اختيار قصة *الاختراع العجيب* (١٩٥٣) لترجمتها إلى اللغة التشيكية في كتاب يضم اثنتين وثلاثين قصة خيال علمي لكتّاب من آداب مختلفة، ونشر الكتاب عام ١٩٩٣ تحت عنوان *عوالم الخيال العلمي* Světy science fiction.

سلسلة ملف المستحيل، وسلسلة ما وراء الطبيعة، وسلسلة فانتازيا وغيرها. ومازال إنتاجهما مستمرًا حتى الآن.

ومع الألفية الجديدة تحسن حظ أدب النوع في العالم العربي، بدأ بعض النقاد يلتفتون إلى الخيال العلمي بشكل جاد، فصدر ليوسف الشاروني دراسة نقدية بعنوان الخيال العلمي في الأدب العربي (٢٠٠٠)، وفي عام ٢٠٠٦ مثلاً نظمت وزارة الثقافة السورية المؤتمر الأول لكتّاب الخيال العلمي وخلاله تم تكريم نهاد شريف بمنحه لقب عميد كتّاب الخيال العلمي العرب، كما تم تكريم آخرين بمنحهم شهادات تقدير عرفانًا لهم بما قدموه في هذا اللون من الأدب الذي لطالما تعامل معه النقاد على أنه أدب درجة ثانية يقدم أعمالاً فاقدة القيمة (الحضري ٢٠٠٧).

اختفت بعض الأسماء السابقة من ساحة الخيال العلمي وظهر جيل جديد إلى جانب الجيل القديم أو من بقي منه. اتجه لكتابة الخيال العلمي السعودي القاهري المولد أشرف إحسان فقيه، وهو أحد القلائل المهتمين بأدب النوع في الخليج العربي، جاءت باكورة أعماله عام ١٩٩٧، مجموعة قصصية طبعها على نفقته الخاصة تحمل عنوان صائد الأشباح، ونشر مجموعة قصص الخيال العلمي القصيرة حنينًا إلى النجوم عام ٢٠٠٠وعام ٢٠٠٦ نشر بعض قصصه القديمة في مجموعة أسماها نيف وعشرون حياة. وفي تونس بعد أن قضى الهادي ثابت جزءًا كبيرًا من حياته منخرطًا في السياسة تحول إلى كتابة أدب الخيال العلمي وترجمته، فكانت البداية مع رواية غار الجن (١٩٩٩) التي فازت بالجائزة الأولى لمسابقة نهاد شريف لأدب الخيال العلمي، ونشرت رواية جبل عليين عام ٢٠٠١ كتتمة للرواية السابقة، وعام ٢٠١٥ اكتملت الثلاثية بنشر روايته مدينة النهار الأزلي. كما نشر عام ٢٠٠٥ رواية خيال علمي باسم لو عاد حنبعل، ثم كتب مواصلة لها رواية بعنوان معبد تانيت. وفي لبنان بدأ الممثل سمير شمص مشواره الأدبي برواية خيال علمي عند حافة الكون. ومن الأعمال التى لاقت ترحيبًا رواية الخيال العلمي مجرد حلم (٢٠٠٤) للمغربي عبدالرحيم بهير. ومن العناوين التي تلفت النظر في الخيال العلمي العربي إبداعات الكاتب المصري الشاب المخلص لأدب النوع أحمد محمد فريد ومن أهم أعماله:

وثنية[١] (٢٠٠٨)، وأشباح السايبر (٢٠١٠)، ورأيت الجنة (٢٠١٢)، وقيامة (٢٠١٣).

وأخيرا يمكننا أن نقول أن أدب الخيال العلمي أصبح أدبًا معترفًا به في القرن العشرين، ولما أدركت الدول المتقدمة أهميته في إعداد علماء ومفكري المستقبل قامت بإدراجه في المناهج التعليمية وافتتاح أقسام دراسية في الجامعات في تخصص أدب النوع وأكدت أن دراسته جزء لا يتجزأ من رؤيتها الطموحة للمستقبل، خاصة أن هذا اللون من الأدب ينمي التوجهات الثقافية والاجتماعية ضد أشكال التسلط والديكتاتورية المجتمعية.

قائمة المراجع المستخدمة

[١] حازت الرواية القصيرة *وثنية* على جائزة د. نبيل فاروق للخيال العلمي عام ٢٠٠٨.

المراجع العربية

الشاروني، يوسف: الخيال العلمي في الأدب العربي. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.

الشيخ، فتح الله: الهجرة العظمى إلى الفضاء (مستقبل البشرية). القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢.

توتلي، ليزا: فن كتابة الفنتازيا والخيال العلمي. ترجمة د. كمال الدين حسن. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨.

سكولز، روبرت: آفاق أدب الخيال العلمي. ترجمة حسن حسين شكري. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.

شريف، نهاد: الدور الحيوي لأدب الخيال العلمي في ثقافتنا العلمية. القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٧.

شوشة، فاروق؛ وآخرون: معجم مصطلحات الأدب (الجزء الثاني). القاهرة، مجمع اللغة العربية، ٢٠١٤.

قاسم، محمود: الخيال العلمي أدب القرن العشرين. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

قاسم، محمود: الخيال العلمي، مصطلحات وأسماء. القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠٩.

قاسم، محمود: علم زاده الخيال (السينما والخيال العلمي). القاهرة، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى ٢٠١٢.

هزاع، حمادة: الخيال العلمي في الأدب المصري (نهاد شريف نموذجا). القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤.

وهبة، مجدي؛ المهندس، كامل: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.

المراجع الأجنبية

Adamovič, Ivan: Slovník české literární fantastiky a science fiction (s úvodní studií fantastiky Ondřeje Neffa). R3, Praha, první vydání 1995.
Genčiová, Miroslava: Vědckofantastická literatura (srovnávací žánrová studie). Albatros, Praha, první vydání 1980.
Julij, Kagarlickij: Fantastika, utopie, antiutopie. Přeložil dr. Zdeněk Kubeš. Panorama, Praha, první vydání 1974.
Neff, Ondřej: encyklopedie literatury science fiction. H & H, Praha, první vydání 1995.
Neff, Ondřej: Všechno je jinak (Kapitoly o světové science fiction). Albatros, Praha, první vydání 1986.
Olša, Jaroslav, Jr.: Světy science fiction. Asociace fanoušků science fiction, Praha, první vydání 1993.
Peterka, Josef: Teorie literatury pro učitele. MME Mercury Music & Entertainment s.r.o., Dobříš, třetí vydání 2007.

دراسات ومقالات

الحضري، إيهاب: أدب الخيال العلمي بنكهة عربية! الرواية حين تتجاوز إخفاقات العلماء (مقالة). القاهرة، جريدة الشرق الأوسط ، العدد ١٠٥١٥ الصادر يوم الأربعاء ١٢ سبتمبر ٢٠٠٧.

مصطفى، محمد أحمد: أدب الخيال العلمي العربي: الراهن والمستقبل. مجلة فصول، صيف– خريف ٢٠٠٧، العدد ٧١، صـــ٧٨: ٩٧.

Hawking, Stephen: Uměl? inteligence mů?e znamenat zk?zu lidstva. 4.12. 2014. Dostupné z: cz/ct24/svet/1006511–hawking–umela–inteligence–muze–znamenat–zkazu–lidstva